

الانبثاق السوسيولوجي وفلسفة الشخصيات في مدونات احلام مستغانمي الروائية
**Sociological Emergence and the Philosophy of Characters in Ahlam Mosteghanemi's
Novelistic Blogs**

أ. غنية محمدي¹، أ.د. علي ملاحي²

¹ جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله (الجزائر)، ghania.mohammedi@univ-alger.dz

² جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله (الجزائر)، doc.ali@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2025/09/09 تاريخ القبول: 2025/11/12 تاريخ النشر: 2026/01/23

ملخص:

تُلقي أحلام مستغانمي بكل ثقلها الرؤيوي الفلسفي التكويني السوسيولوجي في مختلف مدوناتها الروائية من خلال شحن اجتماعي متعدد المرجعيات في شخصياتها النموذجية التي تقدمها على أساس أنها تمثيل واقعي لاعتبارات اجتماعية يعيشها الانسان وجوديا ويتعايش معها سلبا وايجابا ، وهو ما يضيء عليها حالة من الانبثاق العميق الذي يحتاج من القارئ الى البحث عن أدوات تبرر كيان ما في هذه المدونات من مستويات دلالية ، مباشرة وغير مباشرة يَبوح بها الخطاب في افرازاته التعبيرية التي تشكل جماليا مسافة هذا الخطاب الذي يسعى الى تحاشي افتراضات الراهن بكل التباساته الانية والاستشرافية .

كلمات مفتاحية: أحلام مستغانمي، الأدب الجزائري، الرؤية السوسيولوجية، الأدب النسوي، فلسفة الشخصيات، التشكيل السوسيولوجي

Abstract:

Ahlam Mostaganmi receives with all its weight the visionary, philosophical and sociological formation in its various narrative blogs through a multi-reference social charging in its model characters that it presents on the basis that they are a realistic representation of social considerations that man lives existentially and coexists with them negatively and positively, which gives it a state of deep emergence that requires the reader to search for tools that justify the entity of these blogs from semantic levels, direct and indirectly revealed by the discourse in its expressive secretions, which aesthetically constitute the distance of this discourse, which seeks to avoid the assumptions of the present with all its immediate and forward-looking confusions.

Keywords: Ahlam Mosteghanemi, Algerian literature, sociological perspective, Feminist literature, philosophy of characters , Sociological structuring

*المؤلف المرسل: أ. غنية محمدي¹، أ.د. علي ملاحي²

تمثل الرؤية السوسيولوجية في الخطاب الأدبي نافذة حيوية تتصل باستفهامات المجتمع الإشكالية التي تبرز من خلالها صورة الواقع بما فيه من تحديات ذاتية ووجودية ، تعيد صياغتها النصوص الإبداعية وفق تشكيل سردي جمالي مفعم بمتضادات اجتماعية لا حصر لها ، تكون فيه وظيفة العمل الفني الواقعي تربية ملكة الملاحظة الدقيقة العميقة الواسعة المحببة (فضل، 1978 ، صفحة 140)

وهو ما يجعلها مفتوحة على آليات التفكيك النقدي لماهية الكيان البنيوي للواقع الاجتماعي الذي تتفاعل معه وقائع الخطاب الروائي وتنصهر فيه شخصيات الحدث بكل ما يحمله من مواقف واعتبارات إنسانية تبدو فيها الروائية أحلام مستغانمي مفتونة برصد التحولات الاجتماعية التي تعيشها عن قرب واقعي ووجداني . من خلال انصهارها في منظومة الوعي الجمعي المحلي والعربي محاولة في سياق ذلك تجاوز حدود الذاتية أو العمل على محوها للتأقلم سوسيولوجيا مع فرضيات البنيتين الثقافية والاجتماعية الواسعتين.

المتفق عليه لدى قراء أحلام مستغانمي ودارسها على حد سواء ، ان مدونات الروائية استطاعت ان تحاكي جماليا الواقع الراهن الذي جعلها تتمكن من تحويل أنظار النقاد إلى ما تنتجه من خطابات روائية مكتوبة بلغة عربية مخالفة كليا ما نسجته الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية على العموم . (عثمان، 1993 ، صفحة 82)

تنسجم أحلام مستغانمي سوسيولوجيا مع ثنائية الرجل/ المرأة التي تشكل الملمح الأسلوبي الذي يميز وجهة نظر الروائية أحلام مستغانمي بدءا بعناوينها، وامتدادا إلى المادة السردية التي ينعقد على منوالها الخطاب الروائي. في تناغم أحداثه وتجاوز مستويات السردية التي تعالجها الوقائع التشكيلية المحبوبة زمنيا ومكانيا لتكون عبارة عن قناعات نابغة من ضمير امرأة ترفض بقناعة وتزعم انها أكبر من ضغوطات المجتمع المفكك والمرتبك الى حد اللغة الصارخة . (بعلي، 2015، صفحة 76)

تمثل هواجس المرأة فعل الاثارة الاجتماعية وهي بذلك تعبر عن المرأة التي ترتبط وجدانيا بالطرف الأول والمهم في هذه ثنائية المرأة / الرجل . تلعب فيه شخصية المرأة كما رأتها مستغانمي جزيرة فاتنة مثيرة من خلال صورتها الشبقية التي ترصدها أحلام مستغانمي في مجمل مدونات الروائية المتنوعة والمتعددة من الناحية الاجتماعية السوسيولوجية.

انطلاقا مما جسده شخصية المرأة الجزائرية على وجه الخصوص من حمالات دلالية *

وردت على نحو متعدد في مستويات سوسيولوجية ، نراها تماشيا مع منطق لوسيان جولدمان في صياغته لاجتماعية الأدب (فضل، 1978 ، صفحة 240)، انبثاقا دالا معبرا عن ذلك الدور الثقافي والاجتماعي والنفسي

* أقصد هنا مجموعة الشحنات الدلالية التي يحتملها السياق الروائي.

والحضاري الذي يتجلى أدائيا في فسيفسائية المدلول الأسطوري لنموذج المرأة الجزائرية بالتدقيق ، والتي تصورها أحلام مستغاني على أنها تعيش فجوات اجتماعية لانهائية ، وكثيرا ما تتحول المرأة لدى الروائية الى ينبوع يسقي المجتمع لكنه لا يحقق التوازن النفسي والإنساني والنفسي والعاطفي للمجتمع .. وهو ما تحاول أحلام مستغاني ان تختصره في مختلف رواياتها التي يختلط فيها القوي بالضعيف والمعقد بغير المعقد والمحوري بغير المحوري في منظومة السرد الذي تتفاعل فيه المواضيع والقضايا التي تعكسها الأدوار الاجتماعية للمرأة والتي تقودنا الى ضرورة إستكشاف التشكيل السوسولوجي لشخصية المرأة - انطلاقا من وجدان أحلام مستغاني الانسانية - وكيفية تجسيدها للأبعاد الثقافية التي تكرسها الأنماط الشكلانية المتنوعة لنموذج المرأة التي تتقمص سلبا وايجابا أمراض المجتمع وما يتصل بها من تحديات اجتماعية تتطلع فيها المرأة إلى تمثيل الهوية النسائية التي تتماشى مع المنطق الهندسي لصورة المرأة / الوطن / والمرسومة في المرجعية الواقعية والاسطورية للمرأة الجزائرية / العربية بما تحمله من الحب والخيانة، والفقد واللوعة والحيلة والمكر والدهاء وبما في ذلك من متضادات سيميائية وأسلوبية تعبر عنها علامات سردية موضوعاتية مثل السكنية والمسكنة والحنان والضعف والقهر والنكوص وغير ذلك ولعل كل ذلك ما جسده أحلام مستغاني في عملها السردى : الأسود يليق بك (مستغاني، 2004)

هذا العمل السردى جاء عبارة عن جذاذات سردية ، كثيرا ما تختفي فيه تقنيات السرد الروائي ، لذلك لا هي بالرواية ولا هي في نظرنا قصة طويلة وانما هي عبارة عن خواطر سردية واعترافات ذاتية في أغلبها غير موضوعية بسبب طغيان الحس الذاتى الرومانسي فيها حسب قناعتنا النقدية . ويمكن ملاحظة ذلك بالعودة الى نصوص هذا العمل .

تماشيا مع ما تؤكدته النظريات السردية فان الخطاب الروائي، يظل ذلك الميدان الخصب لصياغة الأشكال والأنماط السوسولوجية الفاعلة في الخطاب ، وما ينتج عن ذلك التفاعل من رؤية تتبلور فيها تلك الأنماط اللامحدودة من الشخصيات الإنسانية التي يصعب تصنيفها او تكريسها (مرتاض، 1998، صفحة 57) ، عمل الناقد عبدالمالك مرتاض على وضع الاليات النظرية للنظرية السردية مستفيدا من آراء نقاد السرد الكبار من أمثال جيرار جينيت ورولان بارت ، ولم يتردد في نقد هذه النظريات وتقديم مقترحاته في سياق ذلك بكل جدارة

وهو ما يقودنا الى الإقرار بأن بنية الخطاب بوصفه مركبا لغويا لا تنفصل عن البناء السوسولوجي الذي يتماهى سوسولوجيا مع خطاب المرأة كما تجسده روايات أحلام مستغاني دلاليا على وجه الخصوص .وهو شأن تشكيلي منهجي تؤكدته النظرية الأيديولوجية على النحو الذي أقره جورج لوكاتش فيما سماه باسم الواقعية الكبرى ، وهو ما يجعل الدارسين يعتبرونه نقطة التحول نحو اجتماعية الأدب . (فضل، 1978 ، صفحة 231)

وهو المدار السوسولوجي الذي تسعى أحلام مستغاني ان تدرج فيه رؤيتها السردية التعبيرية ، باعتبارها كاتبة واقعية اجتماعية .

في هذا السياق يبرز هذا التشكيل الدلالي لخطاب المرأة عند أحلام مستغانمي بكل ما فيه من مفارقات وأفكار أيديولوجية وثقافية ونفسية واجتماعية وسياسية وتاريخية. يترجم إلى حد كبير قناعات أيديولوجية وثقافية وقناعات تنسجم مع الشخصية الاعتبارية للكاتبة الروائية أحلام مستغانمي التي بدت متناغمة مع اللغة السردية المفعملة بذاتية واضحة ، كانت سببا معقولا في انجذاب الروائية اشعاعيا الى التعامل سرديا في إبداعاتها الروائية مع المنطق الاجتماعي الواقعي الاشتراكي الحاد تحت تأثير الأيديولوجيا الاشتراكية التي كانت الحلقة الفكرية البارزة في نزعة أحلام مستغانمي ككاتبة لها قناعاتها الأيديولوجية البحتة مع استفادتها بلاغيا من الحقائق التاريخية التي ظلت تتخلل رواياتها بشكل واضح.

ذلك ما تطرحه بشكل دقيق في روايتها ذاكرة الجسد ، وهو أمر يتجلى في تجربة أحلام مستغانمي حتى في شعرها ، وخير دليل ما نلمسه في ديوانها "الكتابة في لحظة عري" الذي اعتمدت فيه عددا من المنشورات السياسية في شكل لافتات تحت مسمى شعر. وكله يتضمن تمجيذا للاشتراكية بشكل صارخ . وهي القناعة التي تغيرت على ما يبدو في المراحل الأخيرة حسب روايتها فوضى الحواس

ظلت أحلام مستغانمي تتبنى هذه النزعة في كتابتها ، ولكنها لم تلبث ان خرجت عن المنطق الاشتراكي الى المنطق البرجوازي الرأسمالي في (الأسود يليق بك) . ويمكن العودة الى هذه التجربة السردية التي لاهي رواية ولا هي خواطر ، مع ما فيها من ثراء سردي .. وهذا موقفنا النقدي الاكاديمي .

تلامس أحلام مستغانمي الحياة عن طريق الكتابة، بشكل شبقي من البداية الى النهاية في روايتها " ذاكرة الجسد " حيث تتخذ من الكتابة داخل الرواية، أو ما تسميه الباحثة آمنة بلعي " الخطاب الواصف " والميتاورائي " (بلعلي، 2006، صفحة 157)

سوسيولوجيا الرؤية وأبعادها في مدونات أحلام مستغانمي :

ظاهرة التشكيل الفسيفسائي السوسيولوجي يندرج ضمن صميم الخطاب الروائي الذي تنتهجه أحلام مستغانمي بوصفه وسيلة من وسائل فكرها ومجالها الوجداني بما يميز خطابها وما يحتاجه من تأويل وتعليق ونقاش. ان فلسفة الكتابة بكل ما فيها من تأزم تقني ووجودي وتعبيري يجعل الكتابة لدى أحلام رؤية مطروحة أمام القارئ بشكل استفزازي تختبر فيه ذاكرة المجتمع المثقلة بمرجعيات الماضي التاريخي الذي عاشته شخصياته وما يحملونه من أبعاد تمثلهم فلسفيا وسوسيولوجيا ، ولعل شخصية البطل خالد المجاهد المحمل بابتلاء يسكن ذاكرته ، وهو ما يصاحبه من علامات مشوهة في جسده ناهيك عن ثقل المدلول الذي ينوء به عقله الذي يخزن تاريخ الجزائر الثوري، وهذه حقيقة يستحيل تجاوزها او محوها من ذاكرة الكتابة ولو جاءت متأخرة " لا أصعب من أن تبدأ الكتابة، في العمر الذي يكون فيه الآخرون قد انتهوا من قول كل شيء " (مستغانمي، 2004، صفحة 23)

تقول أحلام مستغانمي " نحن لا نشفى من ذاكرتنا، ولهذا نحن نكتب ، نحن نرسم، ولهذا يموت بعضنا أيضا " . (مستغانمي، 2004، صفحة 07)

تعلن أحلام مستغانمي عن هوية الانتماء، وتصوغ أنماطها السوسيولوجية الرحبة كتابة... تنتج ذلك، ثم معاشية ربما وحدها الكتابة تتيح ذلك "كلمات فقط أجتاز بها الصمت، إلى الكلام، والذاكرة إلى النسيان، ولكن..." (مستغانمي، 2004، صفحة 08)

يتجلى حضور أحلام في كتابتها السردية، متناغما ومنسجما، على نحو يجعل القارئ يعتقد أن ما تنقله هو من صميم سيرتها الذاتية البحتة، وهو أمر مهم في عملية التأويل الذي تستدعيه عملية فهم النص بوصفه مرجعا ذاتيا للكتابة السوسيولوجية المشحونة نفسيا بطاقات دلالية جمالية وإنسانية وثقافية ومعرفية وإجتماعية، وهو ما يضيف على هذا الخطاب السردى حسب الناقد حسن نجمي، سمة تمكنه من منح نفسه للآخر بصرياً وروحياً، بدءاً من السواد على البياض في انتظام الصفحات داخل الكتاب وصولاً إلى أبعد مستويات المتخيل والتجريد". (حسن، 2000، صفحة 13)

قدمت لنا مستغانمي أنماطا سوسيولوجية للمرأة كما جسدها في خطابها الروائي، مثلما كرست لنا أدوارا إجتماعية للمرأة في أعمالها، وعالجت قضايا متعددة في رواياتها مثل الحب كصورة للوطن المرسومة في المرأة "كيف أقنعك أنني أصبحت عبدا لصوتك عندما يأتي على الهاتف، عبداً لضحككتك، لطلتك، لحضورك الأنثوي الشهي، لتناقضك التلقائي في كل شيء وفي كل لحظة عبدا لمدينة أصبحت أنت، كذاكرة أصبحت أنت لكل شيء لمسته أو عبرته يوما ما" (مستغانمي، 2004، صفحة 171)

في هذا السياق الاجتماعي تبدو العلاقات العاطفية في سرديات أحلام مستغانمي محورا رئيسيا تستثمر فيه الحب في حياة المرأة فلسفة وجود واثباتا للذات بشكل عام، تتحول فيه تلك المشاعر مصدرا للقوة أو الضعف، ومن خلاله تراهن على كيانها وبقائها.

عالجت أحلام مستغانمي في زاوية نظر أخرى إشكالية الهوية ودرجة أهميتها في تشكيل منظومة السرد في مختلف نتوءاته الفلسفية المعبرة عن الهوية الجزائرية والعربية التي تلتقي فيه كل الشعوب الناطقة باللغة العربية، وهي في ضوء ذلك لا تعترف بالمكان ولا الزمان ولا تعترف حتى بالانتماء الديني، وهو ما يفسر مفهوم الهوية كسياق عام يحتوي الاشتراك في ممارسات اجتماعية وعادات وتقاليد وأخلاق مشتركة " (ملوف، 1991، صفحة 25) تسوقها الساردة بطريقتها ووفق تقنيات لها خصوصيتها.

تولي الروائية أحلام مستغانمي أهمية كبيرة لموضوع التحرر والاستقلالية الفكرية والمادية عن طريق شخصيات رواياتها لكسر القيود الاجتماعية. ويمكن ملاحظة ذلك في جملة من الأشكال والأنماط السوسيولوجية للمرأة، وهو ما يشير إلى البنى السردية والدلالية التي تجسد أوضاع المرأة في المجتمع الجزائري والعربي وتعكس صراعاتها النفسية والاجتماعية، وتعبّر عن موقعها في منظومة السلطة والعادات والتقاليد. ترصدها فيما تبديه من التمرد والحنين والانكسار والتحدي والبحث عن الذات مجسدة في سياق ذلك صورة المرأة من خلال أنماط

مختلفة الانسجة معبرة في أغلبها عن الهوية، التحرر، الوطن، الحب، الغيرة، الخيانة، الشغف، العلاقات الاجتماعية، الحلم الخيبة والخذلان، الخراب، الموت

- كيف صورت أحلام مستغاني تلك التمثلات؟؟؟

سؤال اشكالي في حركية السرد في تجربة أحلام مستغاني تبلور في فضاء الخطاب على النحو نقدي جمالي ، عالجت فيه تيمة الهوية النسوية ، محاولة كشف وسبر مختلف التحديات الاجتماعية التي تواجهها المرأة الجزائرية عموما والقسنطينية خصوصا .

تبدو الشخصيات النسوية في روايات أحلام مستغاني محورا سوسيولوجيا يعكس الواقع الاجتماعي ويعبر عن صراعات الهوية ، ويبرز هذه الشخصيات ككيانات مستقلة تسعى لتأكيد ذاتها داخل أوساط مجتمعات حريتها مقيدة ، لذلك نرى في رواية " ذاكرة الجسد " كيف تعاني البطلة من تناقضات هويتها. بين الطموح الشخصي والتقاليد الاجتماعية وقيودها " قد أكون مدينة للجزائر بثقافتي وبعلمي، ولكن الكتابة شيء آخر لم يمتّ به أحد عليّ، نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه وما سرق منا خلسة (مستغاني، 2004، صفحة 105) ومما جاء في نموذج سردي آخر: " أنا امرأة ذكية لا تثير الشفقة، إنها دائما تثير الإعجاب حتى في حزنها (مستغاني، 2004، صفحة 105)

وعلى مضمض تتحرك قريحة أحلام مستغاني وجدانيا لتفتح لنا فضاء الحب / اللهفة / الشغف / التضحية، بصورة تتجلى فيها أغلبية شخصيات أحلام مستغاني على درجة من التعلم ، و غالبا ما تمر بتجارب عاطفية معقدة تعكس التحديات التي تواجهها المرأة في المجتمع العربي، ولذلك فإن الحب في رواياتها ليس مجرد شعور رومانسي، بل يعد برهنة وتحقيقا للذات. ومن أمثلة ذلك : " كنت فتاة عادية، ولكن بتفاصيل غير عادية، بسر ما يكمن في مكان ما من وجهك، ربما في جبهتك العالية وحاجيك السميكين، المتروكين على إستدارتهما الطبيعية، وربما في ابتسامتك الغامضة وشفتيك المرسومتين بأحمر شفاه فاتح كدعوة سرية لقبله " .وتبدو في ضوء هذا النسيج السردى شخصية حياة ممتلئة ، ممثلة لنموذج المرأة المثقفة الواعية التي استطاعت ان تبتّ الحياة في شخصية خالد البطل مما أعطاه الإحساس بضرورة البقاء والمواجهة والتحدي .

نستطيع هاهنا أن نقول ان شخصية حياة تختزل الزمن وتصنع لنفسها فضاء تتحرك فيه متحررة طموحة ، مما يضيف على شخصيتها بعدا رمزيا يبرز محورا دلاليا فاعلا له حضوره الواسع في الرواية ، وهو ما يدفعنا الى الاعتراف بان شخصية نموذج للتحرر والوعي المفعملة بالرغبة القوية في صناعة التاريخ. يعبر حسن البحراوي نقديا عن هذا التصور بقوله : " الشخصية من حيث خصوصيتها التعبيرية الدلالية تعتبر العنصر الوحيد في النص الروائي تتقاطع عنده كافة العناصر الشكلية الأخرى خاصة من جانب فعاليتها الدلالية ودورها الضروري لنمو الخطاب الروائي " (البحراوي، 1990، صفحة 20)

تتجلى مشاعر الغيرة في شكل ايقاعي له نبرته السردية ، كما يشير الى ذلك هذا الاقتباس : " قالت وكأنها شعرت فجأة بالغيرة من كل تلك اللوحات المعلقة بعناية على الجدران، والتي مازال بعض الزوار يتأملونها ..أنا متعبة بعض الشيء سأسبقك، أكنت حقا متعبة إلى هذا الحد، " أم أصبحت فجأة تغار أو تغار مني...." . (مستغاني، 2004، صفحة 75)

بهذا المعنى فان اسم البطلة " حياة " يرمز إلى التحدي وإثبات الذات برمزية مسار التوجه السياسي للبلاد قبل الاستقلال وبعده ، ولهذا امتلكت وظيفة عميقة تعبر في الرواية عن دور الأم والوطن، وقد أعطت للوطن دلالة الاستمرارية : وفق هذه الصيغة السردية : " لم أكن أعرف أن للذاكرة عطرًا هو عطر الوطن ..مرتبكا جلس الوطن وقال بخجل: عندك كأس ماء...يعيشك " وتفجرت قسنطينة ي نابيع بداخلي " (مستغاني، 2004، صفحة 85)

تجلت أيضا صورة المرأة الواعية في هذه المقولة " ما فائدة أن يمنح اسم أبي لشارع كبير، وأن أحمل ثقل اسمه الذي يردده المارة والغرباء عدة مرات في اليوم، ما فائدة ذلك إذا كنت لا أعرف عنه أكثر مما تعرفون " . (مستغاني، 2004، صفحة 103)

ومنه هذا النموذج السردى أيضا: " نحن ننتهي لأوطان لا تلبس ذكراها إلا في المناسبات بين نشرة أخبار وأخرى، وسرعان ما نخعلها عندما تطفأ الأضواء، وينسحب المصورون " (مستغاني، 2004، صفحة 118)

يحمل هذا النسق السردى نمطا من إضفاء دلالات سياسية على وجهة نظر الخطاب تنتقد فيه الواقع الاجتماعي وفق رؤية سوسيولوجية مثيرة لكثير من الأسئلة التي تتضمن احتجاجات اجتماعية واسعة .

ضمن هذا المحور الوجداني تأتي صور الحب متكررة في خطاب أحلام مستغاني الروائي ، تتضاعف بفعلها مشاعر الدهشة عند ضياء: " كنت معك في دهشة دائمة، فقد كنت شبيهة بتلك الدمية الروسية الخشبية التي تخفي داخلها دمية أخرى، كنت كل مرة أفاجأ بإمرأة أخرى داخلك، وإذا بك تأخذين في بضعة أيام ملامح كل النساء " . (مستغاني، 2004، صفحة 89)

تمثل تيمة الحب عند أحلام مستغاني أبعادا إنسانية وثورية غير محدودة ، وهي لذلك ليس مجرد علاقة بل تجربة وجودية ، وقد سبق ان رأينا أيضا صورة المرأة الأم تأتي عادة مشحونة بدلالات نصية غير محدودة : " كان صوتها شوكا انغرزت في قلبي يومها، فقد كان شيء من (أما) من عطرها السري من طريقتها في تعصيب رأسها وكانت لها تلك الحرارة التلقائية التي تفيض من الأمهات عندنا "

على هذا النحو تتجسد الرؤية السوسيولوجية عند أحلام مستغاني باعتبارها حلقة مقاربة منهجية تكشف الكثير من الخبايا النفسية للساد أنثى كان أم ذكرا ..وتعتبر هذه الظواهر الأدبية بمثابة نتوءات دلالية تستعملها الروائية بغرض استفزاز المتلقي بشكل او بآخر ، وهي لعبة فنية لها مفعولها البلاغي الذي يتحول بموجبه السرد من كونه مادة واقعية الى مادة متخيلة ، على نحو من الانصهار والانبثاق في الوقت ذاته ، وهو ما يجعل من العمل

الروائي والشعري والمسرحي عموماً نتاجاً اجتماعياً يعبر عن البنى الثقافية الطبقية، السياسية والاقتصادية للمجتمع الذي ينتجه، و تقوم هذه الرؤية على فكرة أن الأدب لا يمكن فصله عن سياقه التاريخي أو الاجتماعي اللذين نشأ فيهما بوصفهما جزءاً من نسيج الحياة الاجتماعية، ويخضع لتأثيرهما .. وفي هذا المقام ينهنا المنظر الكبير "رينيه وليام الى أهمية" دراسة العمل الأدبي في علاقته بالمجتمع الذي انتجه وتلقاه ، سواء من حيث مضمونه أو أشكاله، أو وظائفه الاجتماعية " (وارن، 1987، صفحة 89)

الرؤى التي جسدها كتابات أحلام مستغانمي: والتي تمثل فلسفة الانبثاق السوسيولوجي في مدونات أحلام مستغانمي يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

1- رؤية وجودية – فلسفية عن الحب والخسارة.

2- رؤية وطنية ونقدية لتجربة الاستقلال الثورة والثوار يظهرون كثيراً في رواياتها.

3- رؤية تحريرية نسوية: تقدم المرأة كذات فاعلة تكتب، تحب، ترفض، تتمرد تجسد تحرر المرأة عبر اللغة والوعي والذاكرة.

يتجلى كل ذلك في رواية " فوضى الحواس التي " تعكس رؤية جماعية نسوية عربية يتكامل فيها البعد الفني (السرد المتداخل، اللغة الشعرية، مع السياق السياسي والاجتماعي، في هذه الرواية المرأة تعيش بين القمع السياسي والعاطفي لتبحث عن الحب والحرية وسط كم هائل من التناقضات الاجتماعية. التي تتقاطع فيها الشخصيات مع المحور الاجتماعي انطلاقاً من تجارب نفسية عاطفية متداخل مع الطابو الاجتماعي بما فيه من القهر الثقافي والسياسي والاجتماعي، وفي سياق ذلك تتبنى الروائية بشكل بديهي لغة شعرية سردية يتداخل فيها الواقعي والتمثيل، وكثيراً ما تتحول الكاتبة الى صوت معبر عن المرأة المثقفة المقهورة وسط مجتمع ذكوري تقاوم فيه بجرأة وشراسة ، وتعكس من خلال هذه الرؤى درجة الوعي الجماعي النسوي الذي يقاوم باستماتة يعبر عن الطبقة المثقفة من النساء.

وخلافاً لما سبق في رواية ذاكرة الجسد فإنها في رواية " عابر سرير تتطور رؤية أحلام مستغانمي لتصبح أكثر تشاؤماً وتفككا ، وتنصهر أدواتها السردية مع إيقاع متشائم ناجم عن فرط الضغط الاجتماعي الممتزج مع فلسفة الموت، الوطن، الذاكرة، الخيانة، وتأتي لذلك الشخصيات منهزمة متعايشة مع عزلة صعبة لعنصر المرأة التي تشير الى انسحاب المرأة وسلبيتها اجتماعياً بسبب انهيار حلمها الاجتماعي. مما يجعل الواقع أكثر قتامة وسوءاً. بما يعني حالة انهيار القيم ودخول المثقف عموماً في غربة نفسية وثقافية وفلسفية ، ولذلك يبدو صوت المرأة وصورها هزيعاً يعبر عن رؤية شمولية لصورة المرأة المثقفة المهمشة، الغريبة عن وطنها، وهو ما يعني ان أحلام مستغانمي تنقلنا من حلم التمرد إلى مرارة الفقد ومن صوت المرأة المقاومة الشرسة الى صوت المرأة الذليلة المكسورة الجناح التي تقاوم على استحياء وقلة حيلة ، وهو ما يعني تحولها إلى صوت وجودي يحاول أن يتخلص من ذاكرته فقط.

وعلى المنوال نفسه تبدو المرأة في " ذاكرة الجسد " في حالة انهيار واقعي للمشروع الثوري الجزائري بسبب حالة من النكوص الاجتماعي الناجم عن تصاعد ثقافة الإحباط النفسي الذي صارت تتخبط فيه المرأة بالخصوص بوصفها عنصراً مفتوحاً على التاريخ الذي آلت اليه البلاد بكل طبقاتها الاجتماعية ، وما ساد في هذه الطبقات من

قصور بالغ سيطر على العباد بعد الاستقلال ، وهو ما تمثله شخصية " خالد " التي تلخص شخصية نموذجية للمناضل الذي فقد ذراعه في الحرب، وما فتى ان شعر بأنه فقد " الروح " في وقت السلم بعد أن خذلته دواليب السلطة والنظام وأزلامهما ، وهو ما يعني ان الرواية نقد عميق للكيان السياسي الاجتماعي بكل مكوناته السوسيولوجية .

مدونات أحلام مستغامي ودلالات انبثاق الرؤية :

ان مدونات أحلام مستغامي الروائية بداية برواية " ذاكرة الجسد " ليست مجرد قصص حب وهي ليست مجرد محاور قصصية تعبر عن مواقف رومانسية ، انما هي تيمات متعددة محورها المركزي يتعلق بالحب بوصفه تعبيرا انسانيا سرديا يشرح علاقات الانصهار الاجتماعي بما يمثله من وعي جمعي، مرتبط ثقافيا بجيل ثوري هزمه الواقع المتغير الذي تبرزه رؤية أحلام مستغامي الإبداعية انطلاقا من وجهة نظرها في الخطاب السردى بكل ثقله الخاص بها. وهو ما لاحظناه في التناوب الواضح بين شخصيتي خالد وحياة في الفضاء السردى لرواية ذاكرة الجسد ، وقد كان أثره واضحا على وجهة الخطاب إلى درجة التداخل العميق. وما ينسحب على رواية ذاكرة الجسد ، ينسحب بشكل او بآخر على المحتوى السوسيولوجي لرواية عابر سرير وقبلها رواية فوضى الحواس بشكل او بآخر.

وقد ساهم ذلك في وصف المدى البعيد لحضور قسنطينة في رواية " ذاكرة الجسد " حيث أدى ذلك في نهاية المطاف إلى تحول قسنطينة إلى مؤشر سردي على كل القيم الدلالية المتصلة بالخطاب الروائي كله، وكانت كثرة تردد لفظ قسنطينة دالة على بعدها الوظيفي داخل التشكيل الدلالي و السوسيولوجي الروائي، إذ لم تفوت أحلام الفرصة لاستلهاام تاريخ قسنطينة حيث التقطت كل شذرة من شذرات قسنطينة وحولتها إلى رموز دالة ومزجت سردها بعدة أنماط سوسيولوجية في تمازج فيه انسجام كبير.. وتكاد الرواية كلها تتحول الى تعبير ثقافي عن التحام قسنطينة المدينة بمفهوم الوطن، وقد كانت إيقاعات النص كلها تصب في هذا المعطى الجمالي الوجداني.

خاتمة الدراسة :

نستطيع إيجاز الأهداف التي حققتها أحلام مستغامي بأنها أعادت الاعتبار للغة العربية الأدبية الشعرية ، من حيث انها كتبت بلغة جميلة ذات إيقاع شعري في وقت كانت فيه المساحة الروائية العربية الجزائرية بالخصوص تفتقد إلى هذه المساحة، وأعادت بهاء العربية خاصة الكتابة النسوية أيضا كسرت احتكار الذكور للسرد العاطفي والسياسي وأصبحت المرأة هي من تسرد التاريخ والسياسة.. وحققت ثنائية إبداعية أن المرأة قادرة على الكتابة بلغة العاطفة والوطن ووثقت بامتياز تحولات مجمل التحولات السياسية والاجتماعية في الجزائر و خلقت جمهورا من القراء وجذبتهم لأعمالها القيمة. جعلت من الذاكرة محورا سرديا سواء ذاكرة الحب أو الحرب أو الثورة في مواجهة النسيان والخيبات

5. قائمة المراجع:

1. أحلام مستغانمي. (2004). ذاكرة الجسد (المجلد 20). بيروت، لبنان: دار الاداب.
2. البحراوي، ح. (1990). بنية الشكل الروائي : الفضاء ، الزمن ، الشخصية (Vol. 1) بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
3. آمنة بلعلي. (2006). المتخيل السردي في الرواية الجزائرية من المتماثل الى المختلف. الجزائر: دار الأمل.
4. أمين معلوف. (1991). الهويات القاتلة (المجلد 1). ورد للطباعة والنشر والتوزيع.
5. حفناوي بعلي. (2015). الرواية النسوية الجزائرية - تأنيث الكتابة وتأنيث بقاء المتخيل. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
6. رينه ويلك واوستن وارن. (1987). نظرية الأدب (المجلد 3). بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
7. صلاح فضل. (1978). الواقعية في الابداع الادبي. القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
8. عبد الملك مرتاض. (1998). في نظرية الرواية. بحث في تقنيات السرد. الكويت: سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
9. عبدالفتاح عثمان. (1993). الرواية العربية الجزائرية ورؤية الواقع - دراسة تحليلية فنية . القاهرة، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. نجمي حسن. (2000). شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية (المجلد 1). المركز الثقافي العربي.